﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩﴾ [طه: 99]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ دوام القصّ المبين بعد خِتام قصَّة موسى الكليم مع السّامريِّ المهين

لمّا ذكر النَّظمُ الجليل قصَّةَ موسى وهارون ﷺ مع فرعون، ثمَّ قصَّتهما مع السّامريِّ على الأسلوب البليغ والسَّبيل القويم، وما أفضتْ إليه عقبى المخالفة، واتِّخاذ العجْلِ مع اللّه، تحدّيًا لإرادته بالتَّوحيد، ومخالفةً لهدي موسى وهارون الرَّشيد، والتَّأكيد على أنَّ ذلك انحرافٌ يستحقُّ تنديدًا وذمًّا، وأنَّ اللّه قد وسع كلَّ شيء علمًا؛ بيَّن أنَّ مثل هذا القصص يعادُ بمثل هذا الأسلوب البديع والمثال الرَّفيع، فقال للرَّسول الأكرم ﷺ: إنَّنا نقصُّ عليك - أيُّها النَّبيُّ - مِن أخبار الأمم، زيادةً في علمك، وإجلالًا لقدرك، وتسلية لقلبك، وإذهابًا لحزنك، بما وقع لأمثالك من الرُّسل ممَّن سبقك، وتكثيرًا لبيِّناتك، وزيادةً في معجزاتك، موعظة للسّامع وتأكيدًا للحجَّة على النّاس[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَقُصُّ﴾: (قصص، قَصَّ) أصْلٌ يَدُلُّ على تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، ومِن ذَلِكَ قَولُهُمْ: اقْتَصَصْتُ الأثَرَ؛ إذا تَتَبَّعْتُهُ، ومِنْ ذَلِكَ اشْتِقاقُ القِصاصِ في الجِراحِ، وذَلِكَ أنَّهُ يُفْعَلُ به مِثْلُ فِعْلِه بِالأوَّلِ، فكَأنَّهُ اقْتَصَّ أثَرَهُ، ومِنَ البابِ القِصَّةُ والقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ، فيُذْكَرُ[2]، والقِصَّة: الخَبَرُ، وهُوَ القَصَصُ، وقَصَّ عَلَيَّ خبَره يقُصُّه قَصًّا وقَصَصًا: أوْرَدَهُ[3]، والقَصَصُ: الأخبار المتتبَّعة، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ

(1) الخطيب، السّراج المنير: 2/ 483.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قصّ).
(3) ابن منظور، اللّسان: (قصص).

هَذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: 62][1]، وقَدِ اقتصصتُ الحديثَ: رويتُهُ على وجهِه، وقد قصَّ عليه الخبرُ قصصًا، والاسم أيضًا القَصصُ بالفتح، وضع موضع المصدر حتّى صار أغلبَ عليه، والقِصص، بكسر القاف: جمع القصَّةِ الَّتي تُكتب[2].

2) ﴿أَنۢبَآءِ﴾: (نَبَأ) أصلٌ يدلُّ على الإتيانِ مِن مَكانٍ إلَى مَكانٍ، ومِن هَذا القياسِ النَّبَأُ: الخَبَرُ؛ لِأَنَّهُ يَأتي مِن مَكانٍ إلَى مَكانٍ[3]، والنَّبأ: خبرٌ ذو فائدة عظيمة، يَحصلُ به علمٌ أو غَلَبَةُ ظنٍّ، ولا يُقالُ للخبرِ في الأصل: نَبَأٌ، حتَّى يتضمَّن هذه الأشياءَ الثَّلاثة، وحقُّ الخبرِ – الَّذي يقال فيه: نَبَأٌ – أن يتعرّى عن الكذب كالتَّواتر، وقوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: 6] تنبيهٌ أنَّه إذا كان الخبر شيئًا عظيمًا له قدر، فحقُّه أن يُتوقَّف فيه، ولتضمُّن النَّبَأِ معنى الخبر يقال: أَنْبَأْتُهُ بكذا، كقولك: أخبرته بكذا، ولتضمُّنه معنى العلم قيل: أَنْبَأْتُهُ كذا، كقولك: أعلمتُهُ كذا[4].

3) ﴿سَبَقَ﴾: أصلٌ يَدُلُّ على التَّقديم، تقدُّم الشَّيء مِن بين ما حوله في قوَّة وجِدٍّ[5]، التَّقدُّم إلى الأشياء أعيانًا كانت أو معاني[6]، والسَّبْق: القُدْمةُ في الجَرْي وفي كُلِّ شَيْءٍ، تَقُولُ: لَهُ في كُلِّ أمرٍ سُبْقةٌ وسابقةٌ، والجَمعُ السَّوابِقُ، وقَدْ سَبَقَه يَسْبُقُه ويَسْبِقُه سَبْقًا: تقدَّمه[7]، واستُعمل بمعنى الفَوت والإفلات، وبمعنى المُضيِّ، فمن الإفلات قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: 4]، ومن المُضيِّ كلُّ ما جاء بلفظ ﴿سَبَقَ﴾ و﴿سَبَقَتْ﴾ [طه: 129]؛ فهو بمعنى (مَضَى)، أي: كلمةٌ أو قولٌ أو حكم مضى من الله ﷻ، أي: أُبْرِم مثل: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: 68][8].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر النَّظمُ الكريم أنَّ الله تعالى يُخاطب النَّبيَّ ﷺ، بأنَّنا نقصُّ عليك بعظمتنا من

(1) الرّاغب، المفردات: (قصص).
(2) الجوهريّ، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة: (قصص).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نبأ).
(4) الرّاغب، المفردات: (نبأ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (سبق).
(6) السّمين، عمدة الحفاظ: (سبق).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (سبق).
(8) الرّاغب، المفردات: (سبق).

أخبار ما سبق من أحوال الأمم الماضية، كخبر موسى وهارون، وما وقع لهما مع فرعون وبني إسرائيلَ والسّامريِّ، إجلالًا لمقدارك، وتسليةً لقلبك، وإذهابًا لحزنك بما اتَّفقَ للرسل من قبلك، وتكثيرًا لبيِّناتك، وزيادة في مُعجزاتك، وليعتبرَ السّامع، ويزدادَ المُستبصر في دينه بصيرةً، وتتأكَّد الحُجَّةُ على مَن عاند وكابر، وقد أعطيناك كلَّ هذا، ومنحناك من عندنا وحدنا ذِكْرًا عظيمًا، وهو القرآن الكريم[1].

قَصُّ أخبار الأمم الخوالي، والمِنَّةُ بتنزيل القرآن ذكـرًا مـن لـدن الرَّحمن

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ استئنافِ الجملةِ:

فصلَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ، خوطِبَ بها النَّبيُّ ﷺ، تنويهًا بقصَّة موسى عليه السلام ورسالته، وما جرى مع بني إسرائيلَ[2]، وما فيها من معنى البُعد؛ للإيذان بعلوِّ رتبته وبُعدِ منزلته في الفضل، والمرادُ إخبارُ النَّبيِّ ﷺ ووعدُهُ بتنزيل القصص لحكاية ما مرَّ بالأمم السّابقة ما يحقِّق الاعتبار للمكلَّفين بخطابه ﷺ[3]، ومفادُ الجملة قولُه له: إنَّ مثل هذا القصِّ العالي، في هذا النَّظم العزيز الغالي، نقصُّه عليك، من أخبار ما قد سبق من الأزمان، والكوائن الجليلة، ما اتَّفقَ للرُّسل من قبلك، وقد آتيناك ذِكرًا، فمَن أقبل عليه؛ كان القرآنُ مذكِّرًا له بكلِّ ما يريد من العلوم النافعةِ[4].

الإخـبـارُ بـالـقـصـصِ لتحقيق الاعتبارِ

دلالةُ الكافِ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾، ودلالةُ التَّشبيهِ:

أدخلَ النَّظمُ الجليل الكافَ على اسم الإشارة، في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ للدَّلالة على التَّشبيهِ،

قصصُ القرآنِ تتناسبُ بلاغةً وفخامةً وسموَّ مقاصدَ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 148 - 149.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 301.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 97.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسّور: 12/ 340 (بتصرّف).

أي: نقصُّ عليك من الحوادثِ الماضيةِ كقصَّةِ موسى المارَّة[1]، والتَّشبيهُ واقعٌ بتشبيه القصص بنفسه، وذلك للكناية عن كونها، "إذا أُريد تشبيهُها وتقريبها، بما هو أعرف منها في بابها؛ لم يجدْ مُريدُ ذلك طريقًا لنفسه في التَّشبيه، إلّا أن يشبِّهَها بنفسها؛ لأنَّها لا يفوقها غيرُها في بابها، حتّى تُقرَّب به، على نحو ما تقدَّم، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [سورة البقرة:143]، ونظائرُهُ كثيرة في القرآن"[2].

دلالةُ التَّعبير باسم الإشارة الدّالِّ على البُعد:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ باسم الإشارة الدّالِّ على البُعد، في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾؛ للدَّلالة على علوِّ رتبة ما حُكي من القصص، وبُعد مكانته ومنزلتِه في الفضل[3]، أي: نقصُّ عليك مثل ذلك القصصِ العالي الفريد في رتبتِهِ، مع ما فيه من تفخيمِ شأنِ ما ورد من قصَّة موسى عليه السلام، "أي: مثل هذا القصِّ العالي في هذا النَّظم العزيز الغالي، لقصَّة موسى ومن ذُكِرَ معه"[4].

قصصُ القرآنِ في منزلة رفيعةٍ، ورتبة عالية، بعيدة في الفضل

إيثارُ استعمالِ الفعل ﴿نَقُصُّ﴾ دون غيرِهِ:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ القصِّ دون غيره في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الإخبارَ عن القصص السّابقة حاصلٌ على جهة التَّتبُّع، فأُوثِر القصُّ؛ لأنَّه يدلُّ على تقفّي الأحداث من أوَّلها قدمًا فقدمًا[5]، مع التَّفصيل والتَّتبُّع.

قصُّ الأنباءِ حاصلٌ على وفقِ الواقع تفصيلًا وتتبُّعًا

نكتةُ التَّعبير بالمضارع ﴿نَقُصُّ﴾ بصيغة التَّعظيم:

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل المضارع دونَ الفعلِ الماضي،

القصصُ لا ينقطع بعد قصَّةِ موسى، بل هو دائمٌ متجدِّدٌ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 40.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 302.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 40.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 339.
(5) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 21.

في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ للدَّلالةِ على دوام القصص وتجدُّده، فلمّا انتهت قصَّة موسى؛ فإنَّ القصص بعدها مستمرٌّ للغايات السّامية، وقد جيء بالمضارع بصيغة التَّعظيم، بجعل المتكلِّم الواحد جمعًا، أي: نقصُّ عليك ذلك بما لنا من العظمة، كما أنَّ التَّعبيرَ بالفعل المضارع يستجلب الصّورةَ، ويستحضر الحدث، والمستحضَرُ هنا الحالةُ الحسنة في ذلك القصص[1].

فائدةُ التَّقييدِ بالجارِّ والمجرور في ﴿عَلَيْكَ﴾:

تمكُّنُ أغراضِ القصص وقوَّةِ أثرها مفيدٌ في البيان عن المراد

قيَّد النَّظمُ الجليل القصَّ بأنَّه كائنٌ على النَّبيِّ ﷺ، في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾، وذلك للدَّلالة على أنَّ القصصَ إنَّما جيء به لأغراض سامية، بحيث إنَّها تتمكَّن من التَّأثير في النَّبيِّ ﷺ، أي: مفاد قوله له، وهو يعرض عليه قصَّةَ موسى وهارون عليهما السلام، في الصِّراع الَّذي دارَ بينهما وبين أقوامهما، في حضور موسى وغيبتهِ، إنَّما قصصنا عليك هذا القَصصَ؛ "زيادةً في علمك، وإجلالًا لمقدارك، وتسليةً لقلبك، وإذهابًا لحزنك، بما اتَّفَقَ للرُّسل من قبلك، وتكثيرًا لأتباعك، وزيادةً في معجزاتك، وليعتبرَ السّامعُ، ويزدادَ المستبصر في دينه بصيرةً"[2].

دلالةُ ﴿مِنْ﴾ في شبه الجملةِ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾:

يكفي مِنَ القصصِ ما يُحدِث الوعظَ ويبيِّن القصدَ

عبَّر النَّظم الجليل بحرف الجرِّ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ للدَّلالة على التَّبعيض، فهي صفةٌ لمحذوف تقديره: قصصًا مِن أنْباءِ ما قَد سَبَقَ[3]، أي: إنَّ القصصَ لم يكن لجميع مَن أرسله الله تعالى، أو مستوفيًا لجميع ما سبق،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 16/ 301.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 339.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 301.

ويشهد لذلك تصريحُ القرآن الكريم في كثير من آياته، أنَّ اللّه تعالى لم يقصَّ على الرَّسول ﷺ جميعَ أحوال الأمم السّابقة، كقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164][1]، وإنَّما اقتصرَ النَّظمُ الكريم على ما يكفي من القصص للموعظة وبيان القصد، ولَكَ أنْ تَجْعَلَ ﴿مِنْ﴾ اسمًا بِمعنَى بَعض، فتَكُونَ مَفْعُولَ ﴿نَقُصُّ﴾[2].

سرُّ إيثارِ لفظ ﴿أَنۢبَآءِ﴾ جمعًا بدلًا من (أخبار):

الإنباءُ يناسب غرابةَ تلك القصص وعظمةَ شأنِها

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الأنباء دون لفظِ الأخبارِ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ لكون النَّبأ يدلُّ على الخبر ذي الشَّأنِ العظيم، كما ذكرَ أهلُ اللغة، وقد قال تعالى في أصحاب الكهف: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ [الكهف: 13]، أي: نحن نخبرك بخبرِهم العظيم[3]، وإنَّما كان خبرُهُم عظيمًا لمخالفته المعتادَ من شأن النّاس، وأمّا التَّعبيرُ بالجمع؛ فيشير إلى جلالة علمه تعالى، كما أنَّ كثرة تلك الأنباء وقصِّها على النَّبيِّ ﷺ يزيد في علمِه، وفيه تسليَةٌ لقلبِه، وإذهاب لحزنِه، بإيراد ما اتَّفق للرُّسل من قبله، وزيادة من معجزاته بإخباره عن قصص الأمم البائدة[4].

نكتةُ العدولِ عن الصَّريح إلى الموصول:

التَّعبيرُ بالموصول يشير إلى الوصفِ لا إلى الذّات فكان أعمَّ

عبَّر النَّظمُ الجليل بالاسم الموصولِ ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾، دون التَّعبيرِ بالوصف (السّابقين)، في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾، فعدل عن التَّعبيرِ بـ (أنباء السّابقين) إلى التَّعبيرِ بقوله: ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ وذلك لما في الاسم الموصول من دلالةٍ على العموم، فتشمل عمومَ أحوال تلك الأمم السّابقةِ، وإنَّ القصص

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 148 - 149.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 301.
(3) القنّوجيّ، فتح البيان: 8/ 18.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 339.

لا يتضمَّن ذوات السّابقين وحسب، بل فيه من غير العقلاء ما لا يعبِّر عنه بلفظ (السّابقين)، فكان الاسم الموصول المبهم الدّالُّ على العموم أبلغَ في هذا السّياقِ، و﴿مَا﴾ الموصولةُ هنا تصدق على الأزمان؛ "لأنَّ الأخبار تضاف إلى أزمانها، كقولهم: أخبارُ أيام العرب، والقرون الوسطى، وهي كلُّها من حقِّها في الموصوليَّة أن تُعرَّف بـ ﴿مَا﴾ الغالبة في غير العاقلِ، ومعلوم أنَّ المقصودَ ما فيها من أحوالِ الأمم"[1].

دلالةُ الواوِ في قوله: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾:

تفخيمُ الأخبار بوصفِ حالها، من بلاغةِ السّياق المبينِ

افتتح النَّظمُ الجليل الجملةَ بالواو الدّالَّةِ على الحال في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾، فالجملة في محل نصبٍ حالٌ[2]، أي: نقصُّ عليك تلك الأنباء، والحال أنّا قد آتيناك ذكرًا عظيمًا، فالحال ينصُّ على أنَّ القصص يأتي مع الذِّكر الحكيم، وهذا الحال يزيدُ في تفخيم الإخبارِ بتلك الأنباء وتعظيمِها.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿وَقَدْ﴾ مع الفعل الماضي:

تفخيمُ شأن إنزالِ القرآن، بتأكيد الإيتاء بأداة التَّحقيق

أدخل النَّظمُ الجليل أداة التَّأكيد والتَّحقيق (قد) في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾، على الفعل الماضي؛ للدَّلالة على تأكيد ذلك الإيتاء، والمراد التَّنويهُ بفخامة شأنه، والتَّذكير بأنَّ القرآن الكريم وارد من الله تعالى، الَّذي قد قصَّ ذلك القصص العظيم، قال أبو حيّان: "والظّاهر أنَّ الذِّكر هنا القرآن، امتنَّ تعالى عليه بإيتائه الذِّكر المشتمل على القصص والأخبار، الدّال ذلك على معجزات أوتيها"[3].

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ (الإيتاء) دون (الإعطاء):

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالإيتاء، في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 302.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 419.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 328.

مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾، وذلك لأنَّ الإيتاء يُستعمل في ما كان كثيرًا، عظيمَ الشَّأن، كقوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحجر: 87]، وقد خصَّ دفْعَ الصَّدقة في القرآن بالإيتاء[1]، فآثر النَّظمُ هنا التَّعبيرَ بالإيتاء؛ لأنَّه الأنسبُ في البيان عن جلالة قدر القرآن، وعِظم الإنعام به.

إيتاءُ الحكم والنُّبوَّة نعمةٌ راسخة لا تُنتَقَضُ بزوال

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة التَّعظيم:

عبَّر النَّظمُ الجليل بصيغة التَّعظيم بإسناد الفعلِ الماضي إلى نون الجماعة، في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾ تعظيمًا لشأن القرآن، وللدَّلالة على أنَّ "إيثارَ ضمير الجماعة في ﴿ءَاتَيۡنَٰكَ﴾، واختصاصَ ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ مُنادٍ بلسانٍ طلق: إن المُؤْتى ممّا لا يُقادَرُ قدرُه، ولا يُكْتَنَهُ كُنْهُه، كأنَّه قيل: أعظِم بمؤتًى مُوَلِّيهِ عظيمُ الشَّأن قويُّ السُّلطان!"[2].

عظمةُ القرآنِ تقتضي أنَّ مؤتيَهُ عظيم وهو الله تعالى

وأنَّ هذا القرآن الذي آتيناك مشتملًا على هذه الأقاصيص والأخبار الحقيقة بالتفكُّر والاعتبار، لَذكرٌ عظيمٌ وقرآن كريم، فيهِ النَّجاة والسعادة لمن أقبل عليه. ومن أعرض عنه، فقد هلكَ وشقي[3].

فائدةُ القيدِ بالجارِّ والمجرور ﴿مِن لَّدُنَّا﴾:

قيَّد النَّظمُ الجليل إيتاءَ الذِّكر، بأنَّه كائنٌ من لدن الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا﴾، تعظيمًا لشأن الذِّكر؛ وذلك بنسبته إلى الذّات الجليلة، فالتَّعبيرُ بـ (لدن) يدلُّ على التَّعظيم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٖ ٦﴾ [النّمل: 6]، أي: صادرًا من خزائن رحمته ﷻ[4]، فهوَ أبلغُ من

ورودُ الذِّكر من جنابِ الله العظيم دليلٌ على عظمته وعلوّ شأنه

(1) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(2) الطّيبي، فتوح الغيب: 10/ 238، وينظر: النّسفيّ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 2/ 382.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 86.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لدن).

(عند) وأخصُّ، والتعبير بالجار والمجرور تَوْكيدٌ لِمَعنى ﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾، وتَنْويهٌ بِشَأْنِ القُرْآن؛ بِأنَّه عَطيَّةٌ كانَتْ مَخْزُونَةً عِند اللهِ، فخَصَّ بِها خَيْرَ عِبادِهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿ذِكْرًا﴾ وفائدة تنكيره، وتأخيره عن الجار والمجرور:

عَظُمَ القرآنُ مكانةً، وجلَّ شأنًا، فكان ذِكرًا خالدًا على المدى

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن الذِّكر بصيغة التَّنكير، في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾؛ لما في التَّنكير من دلالة على التَّعظيم، أي: وإنَّه لذكرٌ عظيم، كما أنَّ التَّعظيم ناسبَ أن يأتي بالضَّمير مجموعًا في: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾، ومناسب للتَّعبير بالظَّرف في قوله: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾، وتأخيره عن الجارِّ والمجرور لما أنَّ مرجِعَ الإفادةِ في الجملة كونُ المؤتى من لدنه تعالى ذِكرًا عظيمًا وقرآنًا كريمًا جامعًا لكلِّ كمالٍ، لا كون ذلك الذِّكر مؤتًى من لدنه ﷻ مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصِّفة، فتقديمُه يذهب برونق النظمِ الكريم[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّبأُ والخبرُ:

النَّبأُ خبرٌ ذو فائدة عظيمة، يحصل به علمٌ أو غَلَبَة ظنٍّ، ولا يقال للخبر في الأصل: نَبَأٌ، ويتعرّى - ما يقال عنه نبأٌ - عن الكذب[2]، فالنَّبأ لا يكون إلّا للإخبار بما لا يعلمهُ المخبر، ويجوز أن يكون الخَبَر بما يُعلمهُ، وبما لا يُعلمهُ، ولِهَذا يُقال: (عِنْدي)، ولا تَقول: تنبئني عَن نَفسي، وكَذَلِكَ تقولُ: تُخبرني عَمّا عِنْدي، ولا تَقول: تنبئني عَمّا عِنْدي، والإنباء عَن الشَّيْء أيْضًا قد يكون بِغَيْر حمل النَّبأ عَنهُ، تَقول: هَذا الأمر يُنبِئ بِكَذا، ولا تَقول: يخبر بِكَذا؛ لِأنَّ الإخبار لا يكون إلّا بِحمل الخبر[3]، والمرادُ في الآية الخبرُ الَّذي له شأن وخطر؛ لأنَّه يخبر عن

النَّبأُ أخصُّ من الخبرِ؛ لاختصاصه بعظم المخبرِ عنه

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 6/ 40.
(2) الرّاغب، المفردات: (نبأ).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 41.

الأمم السابقة، وقصَّة موسى وقومه، واليهودُ بين أظهرِهم يسمعون ما يتنزَّل عليك، وعندهم التوراةُ، فآثر التَّعبيرَ بلفظ النَّبأ دون الخبرِ في ذكر القصص؛ لأنَّ تلك الأخبار والقصص عظيمة الشَّأن.

السَّبق والمُضيُّ:

السّابق متقدِّمٌ على مشترك له بالوصف، والماضي متقدِّمٌ مطلقٌ

السَّبقُ يَدُلُّ على تقدُّم الشَّيءِ من بين ما حوله في قوَّة وجِدٍّ[1]، فهو تقدُّمٌ بصفة ما على شيء آخر مشابهٍ له، ومشترك معه بصفة من الصِّفات، أمّا مضى؛ فيدلُّ على نَفاذٍ ومُرُورٍ[2]، مَضَى الشَّيءُ يَمضي مُضيًّا ومَضاء ومُضُوًّا: خَلا وذَهَبَ[3]، والمُضيُّ والمَضاءُ: النَّفاذ، ويقال ذلك في الأعيان والأحداث، قال تعالى: ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ [الزّخرف: 8][4].

فالسَّبق يدلُّ على التَّقدُّم والمجيء أوّلًا، ويدلُّ السّابق على الاشتراك بالصِّفة مع المسبوق، أمّا الماضي؛ فلا يقتضي الاشتراك؛ فهو يدلُّ على مطلق التَّقدُّم، قال أبو هلال العسكريُّ:"وأمّا تَسْمِيَةُ اللّه تَعالَى بِأَنَّهُ سابق، يُفيد أَنَّه مَوْجُود قبل كلِّ مَوْجُود، وقالَ بَعضُهم: لا يُطلق ذَلِك في اللّه تَعالَى إلّا مَعَ البَيان؛ لِأَنَّهُ يُوهم أَنَّ مَعَه أَشْياءَ مَوْجُودَةً في سبقها، ولذَلِك لا يُقال: إنَّ اللّه تَعالَى أسبقُ من غَيره، لِأَنَّهُ يَقْتَضي الزِّيادَة في السَّبق، وزيادَةُ أحد الموصوفين على الآخر في الصِّفة يُوجب اشتراكُهما فيها في السَّبق، وزيادَة أحد الموصوفين على الآخر في الصِّفة، يُوجب اشتراكهما فيها، من وجه أو من وُجُوه"[5]، وقد آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالسَّبق؛ لأنَّ القصص السّابقة مشتركة بصفات مع الأنباء المسبوقة.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (سبق).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مضى).
(3) ابن منظور، اللسان: (مضي).
(4) الرّاغب، المفردات: (مضى).
(5) العسكريّ، الفروق، ص: 120.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»